

فن معاملة الناس

قال الراوى .. وكان عمر رضى الله شديداً فى غير عُنف !
وكثيرا ما كان عمر يدعو ربه قائلاً : اللهم إنى شديد فليُنِّى !
وسأله عبد الرحمن أن يَلينَ للناس فقال : إن الناس لا يصلح لهم إلا هذا ، ولو
علموا ما لهم عندى لأخذوا ثوبى من عاتقى .

موعدكم الساعة :

وضرب المثل بعمر - رضى الله عنه - فى العدل ، فقد كان يراقب الله فى
رعيته ، ويخشى عذابه يوم القيامة !
قيل له : كان الرجل يُظلم فى الجاهلية ، فيدعو على ظالمه ، فيجاب عاجلاً ،
ولا نرى ذلك فى الإسلام ؟!
فقال : كان هذا حاجزاً بينهم^(١) وبين الظلم ، وإن موعدهم الآن الساعة ،
والساعة أدهى وأمر .

من ذلك الذى يقيم أمر الله فى الناس ؟ :

وكان عمر - رضى الله عنه - التموذج الكامل للحاكم المسلم الذى يُقيم أمر الله
فى الناس ، ومن أجل هذا كتب إلى أبى عبيدة :
أما بعد ؛ فإنه لم يُقم أمر الله فى الناس إلا حَصِيفُ الْعُقْدَةِ ، بعيد الغرّة ، لا
يُخْنَقُ فى الحق على جرّة ، ولا يَطْلُعُ منه الناسُ على عورة^(٢) ! ، و لا تأخذه فى الله
لومة لائم ! .. وهكذا كان عمر !!

والسابقون السابقون أولئك المقربون :

وكان عمر - رضى الله عنه - يزن الأمور بمقياس السبق والمصارعة إلى الهجرة

(١) فى البيان والتبيين ٣ : ٢٧٩ : كانوا ولا زاجر لهم إلا ذلك ، فلما نزل الله - عز وجل - الوعد والوعيد
والحدود والقود والقصاص وكلهم إلى ذلك .

(٢) حَصِيفُ الْعُقْدَةِ : مُخَيَّمٌ لِلأُمُور . بعيد الغرّة : الغفلة ، لا يُخْنَقُ على جرّة : لا يكظم الحقد وينطوى على
الدغل . والجرّة : ما يخرج من جوفه ويخرجه . ويخْنَقُ البعير : تقصق بطنه .

والجهاد في الله فهو يقول :

من أسرع إلى الهجرة أسرع به العطاء ، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء ،
فلا يلومَنَّ رجل إلا مناخ راحلته .

الضرب .. ومنع الحق .. والإبعاد :

وكان عمر - رضى الله عنه - حريصاً على أن يعيش المسلمون أعزاء ، وأن
يُنصِفَهُم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .. خطب - رضى الله عنه - فقال :

ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم !

ولا تمنعواهم حقوقهم فتكفروهم^(١) !

ولا تجمروهم فتفتنهم^(٢) !

ورع وفقه :

وكان عمر - رضى الله عنه - ورعاً يتحرى الحلال ، ويخاف الحرام .

مر - رضى الله عنه - بشاب فاستسقاها فخاص له عسلاً ، فلم يشربه ، وقال :

إني سمعت الله تعالى يقول :

﴿ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ﴾

فقال الفتى : إنها - والله - ليست لك .

اقرأ ما قبلها : ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار ﴾ [الأحقاف : ٢٠]

أفنحن منهم ؟ فشرها وقال :

« كل الناس أفقه من عمر »

الرجوع إلى الحق فضيلة :

وكان عمر - رضى الله عنه - يقف في وجه المغالاة حرصاً منه على مواجهة

الأزمات ، والتغلب على الشدائد ، من أجل هذا أراد أن يحدد المهور حتى لا يتوء بها

(١) فكفروهم : تدفعوهم إلى الكفر والإرتداد .

(٢) ولا تجمروهم : لا تتركوهم طويلاً في غور العدو بتعرضهم للفتنة . وفي هذه الوصية الغالية نداء إلى أولئك الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات ويدلونهم ويفتنوهم دون ذنب جنوه !

غير القادرين ..

قال - رضى الله عنه - : لا يُلْعَنُ أن امرأة تجاوزت بصداقها صدق النبی - عليه السلام - إلا ارتجعت منها . فقامت امرأة فقالت :

ما جعل الله ذلك لك يا بن الخطاب ! إن الله - تعالى - يقول : ﴿ وآتيم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً تأخذونه بهتاناً وإثمًا مبيناً ﴾ [النساء : ٢٠] .

فقال عمر - رضى الله عنه - : لا تعجبوا من إمام أخطأ ، وامرأة أصابت ، ناضلت إمامكم فضلته^(١) .

عمر والفتوى :

وكان عمر - رضى الله عنه - عالماً بالفقه ، تصدر فتاواه بناء على ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله .. روى أن أعرابياً أتاه فقال :

إني أصبت ظليماً وأنا مُحْرَم ، فالتفت عمر - رضى الله عنه - إلى عبد الرحمن ابن عوف وقال : قل .

قال عبد الرحمن : يُهدى شاةٌ .

قال عمر - رضى الله عنه - أهْدِ شاةً .

فقال الأعرابي : والله ما درى أمير المؤمنين ما فيها حتى استفتى غيره ، وما أظننى إلا سأنحر ناقتى !

فخفقه عمر بالدرة وقال :

أَتَقْتَلُ في الحرم ، وَتُعَمَّصُ^(٢) في الفُتْيَا ؟!

إن الله - عز وجل - يقول : ﴿ يحكم به ذوا عدلٍ منكم ﴾ [المائدة : ٩٥]
فأنا عمر ، وهذا عبد الرحمن بن عوف^(٣) .

إنصاف من لا يحبه :

وكان - رضى الله عنه - منصفاً حتى مع من لا يحبه .. إنه يلتقى بأبى مریم الحنفى قاتل أخيه زيد بن الخطاب في وقعة الجمامة ؛ فيقول له :

(١) نضله : غلبته .

(٢) الغمص : العيب .

(٣) وآية المائدة هذه عن الصيد في الحرم .

والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم !

قال : فتمنعني حقاً ؟

قال : لا .

قال : فلا بأس ، إنما يأسف على الحب النساء !

إذا عرف السبب بطل العجب :

وكان عمر - رضى الله عنه - يعرف للناس أقدارهم وأفضالهم لا يخشى في الله لومة لائم !

قال له عبد الله ابنه - رضى الله عنهما - : لم فضلت أسامة على ، وأنا وهن سيّان !؟

فقال : كان أبوه أحبّ إلى رسول الله ﷺ من أبيك !

وكان هو أحبّ إلى رسول الله ﷺ منك .

أخوف ما كان عمر - رضى الله عنه يخافه على المسلمين :

إن إتهام الأبرياء ، وظلم المخلصين أخوف ما كان عمر يخافه على أمته ، ولكن ما أكثر الأبرياء الذين يُزجّ بهم في السجون بينما ينعم المجرمون بالحرية !!
لقد خطب رضى الله عنه فقال :

إن أخوف ما أخاف عليكم أن يُؤخذ الرجل المسلم البريء عند الله ، فيُدسّر كما يُدسّر الجُزور^(١)، ويُشاط لحمه كما يشاط لحم الجُزور^(٢)، ويقال : عاصم وليس بعاصم . فقال على - رضى الله عنه - : كيف ذاك ، ولما تشدّ البليّة ، وتظهر الحميّة ، وتُسبّ الدرّة ، وتدقّهم الفتن دقّ الرّحا ثقالها^(٣)!

(١) يُدسّر : يكب ويُدفع للقتل ، كما يفعل بالجُزور عند النحر . اللسان .

(٢) يشاط : يقطع . والجُزْر : الناقة أو الشاة المعدة للذبح .

(٣) الثفال : جلدة تحت الرحا . تندق أنسجتها تحت تأثير دوران الرحا فوقها فكأنما تندق بفعلها ، وفي العبارة تشبيه تأثير الفتنة ما تفعله الرحا في الثفال .

العفو عند المقدرة أملا في الخير والصلاح :

وكان عمر - رضى الله عنه - يتفقد أحوال رعيته ليلا ونهارا حتى لا يكون آخر من يعلم !

قال ثور بن يزيد : كان عمر - رضى الله عنه - يعسُ بالمدينة في الليل فسمع صوت رجل في بيت ، فارتاب في الحال ، فتسَوَّر ، فوجد رجلا عنده امرأة وخمر ، فقال : يا عَدُوَّ الله ، أكنت ترى أن الله يسترك وأنت على معصية ؟! فقال الرجل : لا تعجل علىّ يا أمير المؤمنين ، إن كنت قد عصيتُ الله في واحدة ، فقد عصيته في ثلاث :

١ - قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ [الحجرات : ١٢] .

وقد تجسَّست !

٢ - وقال : ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ [البقرة : ١٨٩] .

وقد تسَوَّرت !

٣ - وقال : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا ﴾ [النور : ٦١] .

وما سلمت !

فقال له عمر : - رضى الله عنه - فهل عندك من خير إن عفوت عنك ؟! قال : بلى يا أمير المؤمنين ، والله لئن عفوت عنى لا أعود لمثلها أبداً . فعفا عنه !

إياكم والهدايا :

وكان عمر - رضى الله عنه ، لَمَّا حَا بعيد النظر ، يعرف الأمراض الإجتماعية ومدى خطرها على المجتمع الإسلامى في مهده فراح يحذر المسلمين من الهدايا وإفسادها للذم !!

قيل : أهدى رجل إلى عمر - رضى الله عنه - جَزُوراً ثم خاصم إليه بعد ذلك في خصومة ، فجعل يقول : افصلها يا أمير المؤمنين كَفَصْلِ رَجُلٍ الْجَزُورِ^(١) ! فَاغْتَظَ عمر - رضى الله عنه - وقال :

(١) الْجَزُور : الشاة المجزورة المذبوحة . وفى عيون الأخبار ١ : ٥٢ أهدت إليه امرأة ، ول شرح نهج البلاغة لأبى الحديد ٣ : ١١٩ أهدى إليه رجل فجذ جزور .

يا معشر المسلمين ، إياكم والهدايا ، فإن هذا أهدي إلي منذ أيام رجل جزور ،
فوالله ما زال يردّها حتى خفت أن أحكم بخلاف الحكم .

حرصه على صيانة أمور الأمة وأسرار المسلمين من أعداء الدين :

وكان عمر حريصا على صيانة أمور الأمة ، وأسرار المسلمين من أعداء الدين .

استكتب^(١) أبو موسى نصرانيا ، فكتب إليه عمر :

إعزله واستعمل خنيّفا^(٢) .

فكتب إليه أبو موسى :

إن من غنائه وخبره كيت وكيت^(٣) .

فكتب إليه عمر - رضى الله عنه - :

ليس لنا أن نأتمنهم وقد خَوَّنهم الله ، ولا أن نرفعهم وقد وضعهم الله ، ولا

أن نستنصحبهم في الأمر^(٤) ، وهم يرون الإسلام قد وترهم^(٥) ، ويعطون الجزية عن يد

وهم صاغرون فكتب إليه أبو موسى :

إن البلد لا يصلح إلا به .

فكتب إليه عمر - رضى الله عنه - مات التّصرّائيّ والسلام^(٦) .

من هو خير من الخليفة :

وكان عمر - رضى الله عنه - يُنزل الناس منازلهم .. كان أبو رافع صائغا ،

فنظر إليه عمر ، وهو يقرأ ويصوغ ، فقال :

يا أبا رافع ، أنت خير مني ؛ تؤدى حقّ الله ، وحقّ مواليك^(٧) !

(١) استكتبه : اخذه كاتباً لديوانه .

(٢) استعمل : وُلّ . خنيّفا : مائلا عن الشّرك إلى الإسلام .

(٣) غنّائه : سداده في الأمور . كيت وكيت : كناية عن تعدد مهاراته .

(٤) نستنصحبهم : نطلب منهم النصيحة والرأى ونستشيرهم .

(٥) وترهم : أصابهم وفعجهم .

(٦) نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٩٣ .

(٧) أبو رافع : اسمه نفع . مدنيّ نزل البصرة . وهو من رواة الحديث . ومواليك : من تلى عليهم وتولّى

رعائهم وقونهم .

لكل رزق سبب :

وكان عمر - رضى الله عنه - يحب أن تكون الإجابة وافية هادفة ، ويأبى إلا أن يعلم الناس كيف يجيبون .

قال لرجل : ما معيشتك ؟ قال : رزق الله !

قال : لكل رزق سبب ، فما سبب رزقك ؟

تثيت الود :

وكان عمر - رضى الله عنه - خبيراً بفنّ معاملة الناس وتقوية الروابط الأخوية

بينهم ...

قال - رضى الله عنه - :

ثلاث يُثَبِّتُن لك الودَّ في صدر أخيك :

١ - أن تبدأه بالسلام .

٢ - وتوسّع له في المجلس .

٣ - وتدعوه بأحب الأسماء إليه .

فن الحديث :

وكان عمر - رضى الله عنه - يُلمّ بفنون الكلام ، ويعرف من أين تؤكل الكتف ، وكيف تُقضى الحاجات . قال - رضى الله عنه - من أفضل ما أُعطيته العرب : الأبيات يقدمها الرجل أمام حاجته ، يستعطف بها الكريم ، ويستنزّل بها اللئيم^(١).

أحب الناس إليه :

وربما كان للأسماء وحسن المنظر أثرهما في نفسه ، ولكن حسن الخبر هو الأساس بعد الاختبار . إنه - رضى الله عنه - يقول :

أحبكم إليّ أحسنكم اسماً ، فإذا رأيناكم فأجملكم منظراً ، فإذا اخترناكم فأحسنكم مخبراً .

(١) يستنزّل بها اللئيم : يطلب منه النزول عليه ليكون في ضيافته .

مَيْسَم الكرام :

والدين عند عمر - رضى الله عنه - خير ما يوسم به الكرام فهو يقول :
الدين مَيْسَم الكرام^(١).

عمر وعدى بن حاتم :

وكان عمر - رضى الله عنه - يعرف للناس أقدارهم حتى وإن شغل عنهم .
دخل عدى بن حاتم ، فسلم وهو مشغول ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا عدى
ابن حاتم ، فقال : ما أعرفنى بك ! أنت الذى أقبلت إذ أدبروا ، ووفيت إذ غدروا ،
وعرفت إذ أنكروا ، وأقررت إذ نفروا ، وأسلمت إذ كفروا . فقال عدى : حسبي
يا أمير المؤمنين !

أئى الناس أنعم بدنا ؟ :

وكثيرا ما كان عمر يسأل أصحابه ، ثم يُطلعهم على الإجابة المثلثى من وجهة
نظره ..

سأل أصحابه : أى الناس أنعمُ بدناً ؟

فكلُّ أجاب برأيه .

فقال عمر - رضى الله عنه - لكنى أقول :

جسد فى التراب ، قد أمن العقاب ، ينتظر الثواب !

كلمات كلها حكم :

والحكمة ضالة المؤمن ، وكان عمر - رضى الله عنه - حكيماً .. قال ابن

المسيب : وضع عمر للناس كلماتٍ حكماً كلها ، وهى :

● ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تُطيع الله فيك .

● ضَعُ أمر أخيك على أحسنه ، حتى يجيئك ما يغلبك منه .

● لا تظنَّ بكلمة خرجت من مسلمٍ شراً وأنت تجدُ لها فى الخير محملاً .

(١) المَيْسَم : السِّمَّة ، وأثر الحسن .

- من كتم سرّه كانت الخيرة بيده .
- من عَرَضَ نفسه للتُّهْمَة ؛ فلا يلوْمَنَّ من أساء الظَّنَّ به .
- عليك بإخوان الصّدِّقِ تَعِشْ في أكنافهم ؛ فإنهم زينة في الرخاء ، وعُدَّة في البلاء .

- لا تهاونوا بالحلف فمِيتُكم الله .
- لا تسأل فيما لم يكن ؛ فإن فيما قد كان شغلاً عما لم يكن .
- عليك بالصدق ، وإن قتلَكَ الصدق .
- احذر صديقك إلا الأمين ، ولا أمين إلا من خَشِيَ الله !
- استشير في أمرك الذين يَحْشَوْنَ الله ، فإنما يقول :
- ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] .
- آخر الإخوان على التقوى .
- كفى بك عيباً أن يبدو لك من أخيك ما يخفى عليك من نفسك ، أو تؤذى جليسك فيما لا يعينك ، أو تعيب شيئاً وتأتى بمثله .
- وقال : لأن أموت بين شُعْبَتَيْ رَحْلى أبتغى فضل الله ، أحبُّ إلَيَّ من أن أموت على فراشي .
- وقال لبعضهم : احذر النعمة كحذركَ المعصية ، وهى أخوفهما عليك عندى !
- وقال - رضى الله عنه - : أحذركم عاقبة الفراغ ؛ فإنه أجمع لأبواب المكروه من السُّكْرِ .
- وقال : أفلح من حفظ من الطمع والغضب والهوى نفسه ، ولا خير فيما دون الصدق من الحديث !
- ومن كَذَبَ فجَر ، ومن فجَر هلك .
- وقال - رضى الله عنه - :
- قلت : بأبى وأمى يا رسول الله ، ما بالناس نرق على أولادنا ولا يرقون علينا ؟
- قال : لأنّا ولدناهم ، ولم يلدونا !!

دستور للعمال والجباة في معاملة الناس :

قال الراوى ..

وكان عمر - رضى الله عنه - يعلم الجباة والعاملين على الصدقة كيف يعاملون الناس !

كتب في الصدقة إلى بعض عماله :

ولا تحبس الناس أولهم على آخرهم ، فإن الرّجن للماشية عليها شديد ، ولها مهلك^(ط).

وإذا وقف الرجل عليك غنمه فلا تعتم من غنمه ، ولا تأخذ من أدناها ، وخذ الصدقة من أوسطها^(٢).

وإذا وجب على الرجل سنٌّ ، ولم تجده في إبله فلا تأخذ إلا تلك السن من شروى إبله ، أو قيمة عدل^(٣).

وانظر ذوات الدّر والماخض^(٤). فنكّب عنها ؛ فإنها ثمال حاضرتهم^(٥).



(١) المراد : عند أخذ الزكاة لا تحبس أهل الحى بدواهم كلهم ، وعلل ذلك بأن الرّجن وهو الحبس شديد على الماشية ، فما بالنا بالناس !؟

(٢) لا تعم : لا تنتق منها خيارها ، والعام : الخيار . إنه يرشده ويوجهه إلى أخذ الأوسط وترك الخيار والدون .

(٣) السنّ : الفصيل إذا نبتت أسنانه . من شروى إبله : من مثل إبله .

(٤) الماخض : الحامل .

(٥) ثمال : غياث . يريد أن ما كان منها يدر لبنا ، أو حاملا فينبغى أن يترك لأصحابه فإنه مصدر رزقهم وغياثهم في الشدائد .

إخاء وتراحم

قال الراوى :

عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أنه صر أربعمائة دينار وقال للغلام : اذهب بها إلى أبى عبيدة بن الجراح ، ثم تربص عنده فى البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع . فذهب الغلام بها إليه وقال له : يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : « اجعل هذه فى بعض حوائجك ، فقال له :

وصله الله ورحمه !

ثم دعا بجارية وقال لها :

إذهبي بهذه الخمسة إلى فلان ، وبهذه السبعة إلى فلان حتى أنفذها .

فرجع الغلام إلى عمر ، وأخبره ، فوجده قد أعدّ مثلها إلى معاذ بن جبل ، وقال له : انطلق بها إلى معاذ بن جبل ، وانظر ما يكون من أمره ، فذهب إليه ، وقال له كما قال لأبى عبيدة بن الجراح ، ففعل معاذ مثل ما فعل أبو عبيدة ، فرجع الغلام ، وأخبر عمر ، فقال : « إنهم إخوة بعضهم من بعض » .

رضى الله عنهم أجمعين علمونا كيف يكون الإخاء والتراحم !



عمر وآل الخطاب

عيش آل الخطاب ! :

روى الجاحظ قال :

شهدت الأصمعي يوما ، وقد أقبل على جلسائه يسألهم عن عيشهم ، وعما يأكلون ويشربون ، فأقبل على الذي عن يمينه ، فقال : أيا فلان ، ما إدامك^(١) ؟

قال : اللحم .

قال : في كل يوم لحم ؟

قال : نعم .

قال : بئس العيشُ هذا ! ، ليس هذا عيش آل الخطاب !

كان عمر بن الخطاب يضرب على هذا ، وكان يقول :

« مُذْمِنُ اللحم كَمُذْمِنِ الخمر ! » .

ثم سأل الذي يليه : وهكذا حتى أتى على آخرهم ، كل ذلك وهو يقول : بئس العيشُ هذا ! ليس هذا عيش آل الخطاب ! كان عمر بن الخطاب يضرب على هذا !

فلما انقضى كلامه ، أقبل عليه بعضهم فقال :

يا أبا سعيد ، ما إدامك ؟!

قال : يوما لبن ، ويوما زيت ، ويوما سمن ، ويوما تمر ، ويوما جُبْن . ويوما قِفار ،

ويوما لحم . عيش آل الخطاب ! وخير الطعام ما خف على المعدة ، وسهل هضمه ،

وليس الإدمان على اللحم من ذلك في شيء !

لقد فطن إلى ذلك كثير فتخففوا من الطعام فصمت أجسامهم وغفلنا فاعتللنا ،

وَاختلت موازين صحتنا .

ولقد أوصى حكيم بلغ التسعين بنيه فكان مما قال :

لقد نَيْفَت على التسعين ، ما شكوت يوما مرضا ، وما لذلك من سبب إلا

(١) الإدام ، ما يؤكل مع الخبز .

التخفيف من الطعام ، وقانا الله شر البطون !

رفق عمر بأهله :

قال الراوى : كان أعرابى يعاتب زوجته ، فعلا صوتها صوته ، فساد ذلك منها وأنكره عليها ، ثم قال :

والله لأشكرك إلى أمير المؤمنين ، وبينما هو عند بابه فى انتظار خروجه حتى يرفع إليه شكواه ، سمع امرأته تستطيل عليه وتقول :

اتق الله يا عمر فيما ولأك ، فقال الرجل وهو يهم بالإنصراف - : إذا كان هذا حال أمير المؤمنين ، فكيف حالى ؟ وفيما هو كذلك خرج عمر ، فلما رآه قال له : ما حاجتك يا أخا العرب ؟

فقال الأعرابى : يا أمير المؤمنين ، جئت إليك أشكو خلقت زوجتى ! وإستطالتها على ، فرأيت عندك ما زهدنى ، إذ كان ما عندك أكثر مما عندى ، فهممت بالرجوع وأنا أقول :

إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته ، فكيف حالى ؟

فتبسم عمر وقال : يا أخا الإسلام ، إنى احتملتها لحقوق لها على :

إنها طبخة لطعامى ، خبازة لخبزى ، مرضعة لأولادى ، غاسلة لثيابى ، وبقدر صبرى عليها يكون ثوابى !

عمر يقيم الحد على ولده :

قال الراوى : كان لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - من العدل والسياسة إلى حد أقام فيه الحد على ولده حتى مات ، وكان إذا أنفذ عمالا إلى أعمال قال لهم :

إشتروا دوابكم وأسلحتكم من أرزاقكم ، ولا تمسوا أيديكم إلى بيت مال المسلمين ، ولا تغلقوا أبوابكم دون أرباب الخواج ! رضى الله عنه وأرضاه !

إنصاف !

قال الراوى : أتت امرأة بزوج لها أشعث أغبر إلى أمير المؤمنين عمر بن

الخطاب - رضى الله عنه - وقالت :

يا أمير المؤمنين ، لا أنا ولا هذا ، خلصنى منه ، فنظر إليه عمر ، وعرف ما
كرهت منه ، فأشار إلى رجل ، وقال له :

إذهب به وحممه ، وقلم أظافره ، وخذ من شعره ، وأتني به ، فذهب وفعل
ذلك ، ثم أتاه فأومأ إليه عمر : أن خذ بيدها ، وهى لا تعرفه ! فقالت :

يا عبد الله ، سبحان الله ! أيئن يدنى أمير المؤمنين تفعل هذا ؟! فلما عرفته ،
ذهبت معه !

فقال عمر : هكذا فاصنعوا لهن ! إنهن يُحِبُّن أن تتزينوا لهن ، كما تحبون أن يتزينَ
لكم !



حق الزوجة :

قال الراوى :

ذكر الزبير بن بكار قال :

أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن زوجى يصوم النهار ، ويقوم الليل ، وأنا أكره أن أشكوه ، وهو يعمل لطاعة الله - عز وجل - فقال لها : نعم الزوج زوجك !

فجعلت تكرر عليه القول ، ويكرر عليها الجواب !

فقال له كعب الأسدى : يا أمير المؤمنين ، هذه المرأة تشكو زوجها من مباحثته إياها عن فراشه !

فقال عمر : كما فهمت كلامها فاقض بينهما .

فقال كعب : علّى بزوجه ، فأتى به ، فقال له :

إن امرأتك هذه تشكوك ، قال :

أفى طعام أو شراب ؟

قال : لا .

فقالت المرأة :

يأيبها القاضى الحكيمُ رشده

زهَّده فى مضجعى تعبُّده

نهَّزه وليله ما يرقِّده

فقال زوجها :

زهَّدنى فى فرشها وفى الحجل

فى سورة النحل وفى السبع الطول

أئبى امرؤ أذهلنى ما قد نزل^(١)

وفى كتاب الله تخويف جَلَل^(٢)

(١) الحجل : جمع حجلة بفتحين وهى بيت يزين للعروس بالثياب والأسرة والنور

(٢) السبع الطول من سور القرآن هى : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف واختلفوا فى

السابعة فقيل : الأنفال وبراءة معا وكأنهما سورة واحدة بتسمية واحدة وقيل : يونس . والمراد بالتخويف ما

أعد من العذاب للعاصين والثواب للطائعين مما دفعه إلى الانهماك فى العبادة حتى قصر فى حقوق الزوجية وردده

كعب إلى الصواب .

فقال كعب :

إن لها حقاً عليك يا رجل نصيبها في أربع لمن عقل
فأعطها ذاك ودع عنك العلل

ثم إن الله - عز وجل - قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة
من أيام ولياليهن ، تعبد فيهن ربك .

فقال عمر : والله ما أدرى من أتى أمر بك أعجب ؟

أمن فهمك أمرهما ؟ أم من حكمك بينهما ؟

إذهب فقد وليتك قضاء البصرة !

مما يسعد الرجل :

وعمر - رضى الله عنه - الأب يرى السعادة كل السعادة أن يجد الرجل بناته
وأخواته ، ومن يعولهن قد تقدم لهن من يعرف لهن حقهن ، إنه يقول :
من حظُّ المرء نفاق أئيمه^(١) ، وموضع حقه يريد أن يكون حقه عند من لا
يبحده .

نعم العِدْلان ، ونعم العِلَاوة ! :

وكان عمر - رضى الله عنه - يعلق على الآيات عقب سماعها بما يلقي الضوء
عليها ..

قال في قوله تعالى : ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم
المهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٧] .. نَعْم العِدْلان ، ونعم العِلَاوة^(٢) !!
رضى الله عن آل الخطاب بقدر ما صبروا وعَفُّوا !

(١) الأئيم : غير المتزوجة ، ولا يُرَغَّب فيها . أى من سعادة الرجل أن تخطب غير المتزوجات من بناته وأخواته .
(٢) العِدْلان : (بكسر العين) الحملان المتعادلان على جانبى البعير . والعِلَاوة : الزيادة على ظهره . والمراد
نعم الجزاء العادل ، والفضل من الله بعد ذلك .

عمر القدوة والمثل

مثال العبودية الحقّة :

قال الراوى : وكان عمر - رضى الله عنه - مثال العبودية الحقّة لله سبحانه وتعالى ..

طلّى بعيراً من الصدقة بالقَطْران ، فقال له رجل : لو أمرت عبداً من عبيد الصدقة كفّاكّه !

فضرب بالثَّملة^(١) على صدره ، وقال :

أَعْبُدْ أَعْبُدْ منى ؟!

صدق الورع :

وكان عمر - رضى الله عنه - ورِعاً ، يعرف أن صدق الورع يستنزِل الرحمات . إنه يقول :

لو صليتم حتى تكونوا كالحَنِيّ^(٢) ما نلتم رحمة الله إلا بصدق الورع !

كراهية الموت :

الموت قضاء الله ، وشأن المؤمن أن يرضى بقضاء الله ، ويتوقع الموت فى كل لحظة ، ومن أجل هذا يقول عمر - رضى الله عنه - :

كل عملٍ كرهت من أجله الموت فاتركه ، ثم لا يضرك متى مِتَ^(٣)

التوجه فى الوجه ثلاث مرات :

وكان عمر - رضى الله عنه - يطلب أن يحاول كل منا مرة وأخرى وثالثة ، فإذا لم يتحقق له ما أراد فلينصرف عنه إلى غيره .. إنه يقول :

-
- (١) الثَّملة : (بفتح الميم وسكونها) خرقة يطل بها البعير بالهناء (القَطْران) .
(٢) الحَنِيّ : القوس . أى مهما بالغتم فى الركوع دون خشوع لله وخضوع وصدق ورع ، وتوق للمحارم ، فلن تنالكم رحمة الله .
(٣) فى زهر الآداب أن القول لأى خازم .

إذا توجّه أحدكم في الوجه ثلاث مرات ، فلم يرَ خيراً فليدعه^(١).

الفقه قبل السيادة :

ما قيمة السيادة بلا فقه ١؟

إن الخليفة عمر - رضى الله عنه - يوجه الأنظار إلى ما ينبغى أن يكون عليه من يُسَوِّدُه قومه ليكون أهلاً للسيادة ، فيقول : تفقهوا قبل أن تُسَوِّدُوا .

ذوو الألباب والموت :

الدنيا خداعة ، تستولى على من يحبونها ، وتنسيهم الآخرة ، ولكن الموت فضحها ، فواجب ذوى الألباب أن يفكروا في مصيرهم ، وألا ينخدعوا بها .. إن عمر رضى الله عنه - يقول :

إن الموت فضح الدنيا ، فما ترك لذى لُبٍّ فرحاً .

خبرته في البيع والشراء :

وتجلى خبرته في تلك النصيحة الغالية ، فليس بعد الكمال إلا النقص ... إنه يقول :

بع الحيوان أحسنَ ما يكون في عينيك !

فَلَتَاتِ اللِّسَان :

وكان عمر - رضى الله عنه - يحذر من فلتات السباب لما يَعْقُبُهَا من ندم فيقول :

احذر من فَلَاتِ السَّبَابِ كلما أورثك التَّبَرُّ^(٢) ، وأعلقك اللقب ؛ فإنه إن يعظم بعده شأئك يشتد عليه ندمك !

أربعة يلقي عمر الضوء عليها :

ومن أدرى من عمر بأجود الناس ، وأحلمهم وأبخلهم ، وأعجزهم إنه يقول :

● أجود الناس : مَنْ جَادَ عَلَى مَنْ لَا يَرْجُو ثَوَابَهُ .

(١) والشاعر العربي يقول :

إذا لم تستطع شيئاً فدع — — وجاوزه إلى ما تستطيع

(٢) التَّبَرُّ بالباء المفتوحة : اللقب ولا يكون إلا في الدَّم .

- وأحلمهم : من عفا بعد القدرة .
- وأبخلهم : من بخل بالسلام .
- وأعجزهم : الذى يعجز فى دعائه .

ما الجزع مما لا بد منه ؟!

وكانت خطبة - رضى الله عنه - حافلة بالتوجيهات السديدة خطب - رضى الله عنه - فقال :

أيها الناس ، ما الجزع مما لا بد منه ؟!

وما الطمع فيما لا يُرجى ؟!

وما الحيلة فيما سيزول ؟!

وإنما الشيء من أصله ، وقد مضت قبلنا أصول ونحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد أصله ؟

إنما الناس فى هذه الدنيا أغراض تنتزِلُ المنايا فيهم^(١) وهم نهب المصائب .

مع كل جرعة شَرَق .

وفى كل أكلة غصص !

لا ينالون نعمة إلا بفراق أخرى !

ولا يستقبل مُعَمَّر من عمرٍ يوماً إلا بهدم آخر من أجله ! وأنتم أعوان الحُتُوفِ على أنفسكم ، فأين المهربُ مما هو كائن ؟! وإنما يتقلب الهارب فى قدرة الطالب ، فما أصغر المصيبة اليوم مع عِظَم الفائدة غداً ! أو أكثر خيبة الخائب ! جعلنا الله وإياكم من المتقين .

القلب الكبير :

قال الراوى : جاء فى سراج الملوك للطرطوشى :

وكان أبا العيال يسلم على أبواهن ويقول : ألكن حاجة ؟ وأيتكن تريد أن تشتري

(١) تنتزل المنايا فيهم : تتساقب إليهم المنايا . ، ومن المؤلفين من ينسب هذه الخطبة لعمر بن عبد العزيز ، وانفرد ابن أبى الحديد بنسبتها إلى على .

شيئا فيرسلون معه بجوائجهن . ومن ليس عندها شيء اشترى لها من عنده ..
وإذا قدم الرسول من بعض الثغور يتبعه بنفسه في منازلهن يكتب أزواجهن
ويقول : أزواجكن في سبيل الله ، وأنتن في بلاد رسول الله ﷺ ، إذا كان عندكن
من يقرأ ، وإلا فأقرين من الأبواب حتى أقرأ لكن .

متعة الحج :

وكان عمر - رضى الله عنه - ينشد الكمال ، ويرى من الأفضل ألا يفك المحرم
إحرامه بعد العمرة ثم يعود إلى الحج .. إنه يقول في متعة الحج :
قد علمتُ أن رسول الله ﷺ قد فعلها وأصحابه ، ولكنى كرهت أن يظللوا
بهن مُعرِّسين^(١) تحت الأراك^(٢) ، ثم يلبن بالحج تقطر رعوسهم .



(١) معرِّسين : مُسَلِّمين بأهلهم .

(٢) والأراك من أشجار مكة يتخذ منه السواك .

أقوى ميزات عمر !!

قال الراوى* :

لعل من أهم الفروق التى تميز المسلمين فى أول أمرهم وفجر حياتهم عن المسلمين اليوم : « خُلِقَ الرجولة » .

وتاريخ الصحابة ومن بعدهم مملوء بأمثلة الرجولة .. وأقوى ميزات عمر أنه كان رجلا لا يراعى فى الحق كبيرا ، ولا يميلأ عظيما أو أميرا ، يقول فى إحدى خطبه : أيها الناس ، إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه » .

وينطق بالجمل فى وصف الرجولة فتجرى مجرى الأمثال ، كأن يقول : يعجبني الرجل إذا سيمَّ حُطَّةَ حَسَنٍ^(١) أن يقول : لا بجلء فمه » ويضع برامج لتعليم الرجولة فيقول :

« علموا أولادكم العَومَ والرماية ، ومُرّوهم فليشوا على الخيل وثبا ورؤوهم ما يجمل من الشعر » .

ويضع الخطط لترين الوُلاة على الرجولة ، فيكتب إليهم :

« اجعلوا الناس فى الحق سواء : قريبهم كبعيدهم ، وبعيدهم كقريبهم .

وإياكم والرُّشا والحُكم بالهوى ، وأن تأخذوا الناس عند الغضب » ويعلمهم كيف يسوسون الناس ويربونهم على الرجولة فيقول :

ألا لا تضربوا المسلمين ، فتذلّوهم ، ولا تُجَمِّروهم فتفتنّوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم » .

لقد كان عصر صدر الإسلام مظهر للرجولة فى جميع نواحي الحياة وكيف لا وقد كان رسولنا ﷺ مثلا أعلى للرجولة .. فحياته كلها سلسلة من مظاهر الرجولة الحقة ، والبطولة الفذة .. إيمان لا ترعزعه الشدائد ، وصبر على المكاره ، وعمل دائم

* من مقال للدكتور أحمد أمين بتصرف .

(١) إذا أذيق ذلا أو أرغم عليه .

في نصرة الحق ، وهُيام بمعالى الأمور ، وترفع عن سَفَسَافِها ، وعندما لحق بالرفيق الأعلى خلف مبادئ خالدة على الدهر كما خلف رجالا يرفعونها وينشرونها .

وكانت الرجولة عندهم صفة جامعة لكل صفات الشرف من إعتداد بالنفس ، وإحترام لها ، وشعور عميق بأداء الواجب مهما كلفه من نصَب ، وحماية لما في ذمته من أسرة وأمة ودين ، وبذل الجهد في ترقيتها ، والدفاع عنها ، والإعتزاز بها وابعاء الضيم لنفسه ولها .

فهل آن الأوان لكي نضع برنامجا دقيقا للرجولة يبدأ برعاية الطفل في بيته ، فيعلمه كيف يحافظ على الكلمة تصدر منه ، كما يحافظ على الصك يوقع عليه . ويعلمه كيف يكون رجلا في ألعابه .

ويساير خطاه في المدرسة فيعلمه كيف يحترم نفسه ، وكيف لا يقدم على فعل الخطأ ، وإن غفلت عنه أعين الرقباء ، ولا يغش في الإمتحان ولو ترك ولجده ، وكيف يعطف على الضعفاء ، ويبدل لهم ما استطاع من معونة .

ويتمشى مع الطالب في جامعته ، فيعوده الإعتزاز بنفسه ، والإعتزاز بجامعته ، والإعتزاز بأتمته ، ويعينه على أن يفكر في غرض شريف له في الحياة يسعى لتحقيقه . ويتابع الأمة فيضع لها الأدب الذي يبعث القوة والأناشيد التي تملأ النفس أملا ، ويأخذ على أيدي الساسة والحكام ، ورجال الشرطة حتى لا يقسوا على الناس فيميتوهم ، ولا يترهبوهم فيذلّوهم !

رضى الله عنه كم ضرب القدوة والمثل للناس أجمعين !



كيف عمل عمر على رفع المعاناة عن رعيته ؟!

يقول الرواة :

، إن عمر - رضى الله عنه - قال عن أبى بكر :

إنه أتعب من بعده !

وليس من شك في أن عمر كان أشد من أبى بكر إتعاباً لمن جاء بعده !
فسيرة هذين الإمامين قد نهجت للمسلمين في سياسة الحكم ، وفي إقامة أمور
الناس على العدل والحرية والمساواة ، نهجاً شق على الخلفاء والملوك من بعدهما أن يتبعوه ،
فكانت نتيجة قصورهم عنه - طوعاً أو كرها - هذه الفتنة التي قتل فيها عثمان - رضى
الله عنه ، والتي تجمعت منها فتن أخرى قتل فيها على - رضى الله عنه ، وسفكت فيها
دماء كثيرة كره الله أن تسفك ، وانقسمت فيها الأمة الإسلامية انقساماً مازال قائماً
إلى الآن » .

البدء بالنفس :

وكان عمر - رضى الله عنه - المثل والقُدوة بدأ بنفسه عام الرمادة فامتنع عن
أكل السمن والزيت ليشارك رعيته وكان حريصاً على العدل والمساواة ..
ففى حديثه أنه انكفأ لونه^(١) في عام الرمادة حين قال :
لا آكل سمن ولا سميناً .

وأنه اتخذ أيام كان يُطعم الناس قِدْحاً فيه فرض^(٢) ، فكان يطوف على القصاص ،
فيغمر القِدْح ، فإن لم تبلغ الثريدة الفَرَض قال : فانظر ما الذى يُفعل بالذى ولى
الطعام .

(١) انكفأ لونه : تغير وامتنع وعلته صفرة .

(٢) القِدْح : السهم . والفَرَض العلامة . قطعة من الخشب معلمة ومرقمة أشبه بالتر يقيس بها ما يخص كل
فرد في أيام انجاعة ليسوى بينهم جميعاً . ويا ويل من يشرفون على التوزيع إن نقصت قصعة أحدهم ! وبهذا
عبرت الأمة الأزمة الطاحنة بالعدل والمساواة والمشاركة الفعلية والوجدانية .

مسئولية الحاكم :

قال الراوى : لما رجع عمر - رضى الله عنه - من الشام إلى المدينة ، انفراد
عن الناس ليتعرف أحوال رعيته ، فمر بعجوز في خبائها فقصدها ، فقالت :
يا هذا ما فعل عمر ؟

قال : قد أقبل من الشام سالماً .

فقالت : لا جزاه الله عنى خيراً ، قال : ولم ؟

قالت : لأنه - والله - ما نالنى من عطائه منذ ولى أمر المؤمنين دينار ولا درهم !

فقال : وما يدرى عمر بحالك ، وأنت في هذا الموضع ؟!

فقالت : سبحان الله ! والله ما ظننت أن أحداً يلى على الناس ولا يدرى ما بين

مشرقها ومغربها !!

فبكى عمر - رضى الله عنه - وقال :

واعمره ! كل أحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر !! ثم قال لها : يا أمة الله ،

بكم تبيعننى ظلامتك من عمر ؟! ؛ فأبى أرحمه من النار !!

فقالت : لا تهزأ بنا - يرحمك الله !

فقال : لست بهزأ ، فلم يزل بها حتى اشترى منها ظلامتها بخمسة وعشرين

ديناراً ، فبينما هو كذلك إذ أقبل على بن أبى طالب ، وابن مسعود - رضى الله عنهما -

فقالا :

السلام عليك يا أمير المؤمنين ! ، فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت :

وأسواتاه ! شتمت أمير المؤمنين في وجهه !

فقال لها عمر - رضى الله عنه - لا بأس عليك رحمك الله ! ثم طلب رقعة

يكتب فيها ، فلم يجد ، فقطع قطعة من مرقعته ، وكتب فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها ، منذ ولى إلى يوم كذا وكذا بخمسة

وعشرين ديناراً ، فما تدعى عند وقوفه في المحشر بين يدى الله تعالى ، فعمر منه

برىء ! ،،،

شهد على ذلك : على بن أبى طالب وابن مسعود .

ثم دفع الكتاب إلى ولده وقال : إذا أنا مت فاجعله فى كفنى ، ألقى به رنى !
رضى الله عن عمر وأرضاه ، وأثابه وقربه وأدناه ، نهض بالحكم فوفاه ، مما لم
يرد التاريخ له ضريباً ، فتح الفتوح ، ومصرّ الأمصار ودون الدواوين ، وأقام العدل ،
بادئاً بنفسه وأهله ، وأحسن القيام على بيت المال ، فوفر القوات ، وقسمه بالسوية ،
ونشر الأمن وعسّر بالليل ، يتفقد الرعية إلى غير ذلك مما لا يأتي عليه الحصر ، وقد
يُخطئُه العد .

وقصته مع تلك المرأة واحدة من ألوف أمثالها ، ولولا أن لها شهوداً ، لضاعت
فى التاريخ ، فما كان عمر يجب أن يتحدث عنه الناس فى ذلك ، وإنما كان يجب أن
يجعله سرا بينه وبين الله !!

من يحمل عنى ذنوبى ؟!

يقول الراوى : وكان عمر - رضى الله عنه - أهلاً لتحمل المسؤولية ، يتولى
بنفسه أمور رعيته ، ويشرف عليهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، لا تمنعه أعباء الخلافة ،
ولا مسئوليات الحكم ..

رُوى أنه كان يحمل الدقيق على ظهره ، فقال له بعضهم : دعنى أحمله عنك .
فقال عمر : ومن يحمل عنى ذنوبى ؟!

الفرج بعد الشدة :

وكان عمر - رضى الله عنه - يؤمن إيماناً عميقاً بأن بعد الشدة فرجاً ، وأن
الصبر مفتاح الفرج ..

لما حُصر أبو عبيدة كتب إليه عمر - رضى الله عنه :

مهما ينزل بامرىء من شدةٍ يجعل الله بعدها فرجاً ، إنه لن يغلب عسرٌ
يسرين ، إنه يقول :

﴿ اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾^(١)
[آل عمران : ٢٠٠] .

(١) صبر : تجلّد ولم يجزع ، والمصابرة المغالبة فى الصبر . والمرابطة : ملازمة الثغور وموضع الخفاة .

المساواة :

وكانت المساواة بين الناس أملاً يعمل على تحقيقه ويسعى إلى تطبيقه ..
قال - رضى الله عنه - لئن بقيت لأسوِّين بين الناس حتى يأتى الرجل حقه
فى صفته^(١)، لم يعرق فيه جبينه !

إنصاف واعتراف :

وكان عمر - رضى الله عنه - يعرف لخالد بن الوليد فضله وقدره حتى بعد
موته ..

قيل له : إن النساء قد اجتمعن ييكن على خالد ، فقال : وما على نساء بنى
المغيرة أن يسفنن من دموعهن على أبى سليمان ! ما لم يكن نفع^(٢)، ولا لقلقة^(٣).

الرعية والراعى :

خرج عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يوماً وهو خليفة فى حاجة له ماشياً ،
فأعبى ، فرأى غلاماً على حمار له ، فقال :

يا غلام ، احملنى فقد أُعِيت ، فنزل الغلام عن الدابة ، وقال :

اركب يا أمير المؤمنين ، فقال :

لا .. اركب أنت ، وأنا خلفك ، فركب خلف الغلام ، حتى دخل المدينة
والناس يرونه !

من تجاربه الحياتية :

ولعمر - رضى الله عنه - تجارب يزود بها المسلمين بنى الحين والحين .. إنه
يقول :

فرّقوا عن المنية^(٤)، واجعلوا الرأس رأسين^(٥).

(١) الصّفتن : حقية الراعى ، والمراد : حيث يوجد .

(٢) النّفع : الغبار ، والمراد به ذلك الذى يوضع على الرؤوس والوجوه !

(٣) اللقلقة : رفع لاصوت بالعويل .

(٤) فرّقوا عن المنية : لا تجتمعوا فى الأوبئة والطواعين والأمراض المعدية .

(٥) لث بالمكان : أقام فيه ، والمراد : لا تقيموا فى مكان تعجزون فيه عن تحقيق أملككم .

ولا تُلْثُوا بدار مَعْجَزَةٍ^(١).

وأصلحوا مثواتكم^(٢)

وأخيفوا الهوامَّ قبل أن تخيفَكُم .

التواضع .. والتكبر :

وكان عمر - رضى الله عنه - متواضعا ، ومن أجل هذا نراه يبحث على التواضع ، ويبين ما يجنيه الكبير على صاحبه ؛ فيقول :

إن العبدَ إذا تواضع رفع الله حَكَمَتَهُ ، وقال : انتعشْ نعشك الله ! وإذا تكبر وعَدَا طَوْرَهُ وهَصَه الله إلى الأرض^(٣)!

خوفه من الربا :

وكان عمر - رضى الله عنه - يخاف على الأمة الربا ولهذا نراه يُغلق أبوابه فنراه يقول :

« لا تشتروا الفضة والذهب إلا يدا بيد ، فإنى أخاف عليكم الربا » .

لا عزة إلا بالإسلام :

وكان عمر - رضى الله عنه - يرى أن العزة لله ولرسوله وللمسلمين وأن خير ما يعتز به المسلم هو إسلامه ، وبدون الإسلام لا تُغنى مظاهرُ الحياة كُلُّها صاحبها فتिला ! قال له أبو عبيدة حين نزل عن ناقته ، وخلع حُفْيَهُ ، وخاض المخاضة :

ما يسرّنى أن أهل البلد استشفروك^(٤)؛ أى رأوك !

فقال له عمر - رضى الله عنه - :

لو غيرك يقول هذا لجعلته نكالا ، إنا كُنَّا أَذَلَّ قومٍ ، فأعزّنا الله بالإسلام ؛ فإن طلبنا العِزَّ بغير ما أعزّنا الله به أذلّنا^(٥)!!

(١) واجعلوا الرأس رأسين : اشتروا بثمن الواحد من الحيوان اثنين ؛ فإذا أصاب الموت أحدهما بقي الآخر .

(٢) المتأوى : جمع مئوى . مكان الإقامة .

(٣) الحَكْمَةُ : ما أحاط بقم الدابة من حديدة أو لجام . والمراد : رفع الله رأسه . وهصه الله : جذبه جذبا شديداً .

(٤) استشفروك : أطلّوا عليك واطلعوا . والمخاضة فى الشام ، وقد خاضها عمر وهو ذاهب إليه .

(٥) المستدرك على الصحيحين ١ : ٦٢ .

ما عند الله خير وأبقى :

وكان عمر - رضى الله عنه - يزهد فيما تمتلئ به حياتنا الدنيا من الطيبات
أملأ في طيبات الآخرة ..

قال لربيع بن زياد الحارثي : يا ربيع ؛ إنا لو نشاء ملأنا هذه الرحاب من
صلائق ، وسبائك وصناب^(١) .

ولكنى رأيت الله - عز وجل - نعى على قوم شهواتهم ، فقال : ﴿ أَذْهَبَ
طيباتكم في حياتكم الدنيا ﴾ [الأحقاف : ٢٠] .

واجب الآباء والأزواج تجاه أولادهم وبناتهم :

وكان عمر - رضى الله عنه - يعرف أثر التربية الجسمية في إعداد أجيال المستقبل
إلى جانب تربية الذوق وتنمية المشاعر ، ويوجه نظر المرأة إلى ما يعود عليها بالنفع ؛
فراه يقول :

علموا أولادكم القَوْمَ والرمايةَ ، ومُرُوهم فليشوا على الخيل وثبًا ، ورُوهم
ما جُمِّل من الشعر ، وخير تُحْلَق المرأة المِعْزَل .

درس في الاقتصاد :

وكان عمر - رضى الله عنه - خبيراً بفن الحياة ، وكان على رأس المسلمين يوم
واجهوا عام الرمادة فقاد خطاهم وتغلب على الأزمة ونجا المسلمون من خطر المجاعة .
خطب مرة فقال :

يأيها الناس ، لا تأكلوا البيض ، فإن أحدكم يأكل انبيضة أكلةً واحدة ، فإن
حضرها خرجت منها دجاجة فباعها بدرهم^(٢) .

نظرة مستقبلية :

وكان عمر - رضى الله عنه - يدفع أصحابه إلى العمل ليؤمنوا أنفسهم في
مواجهة الحياة بدلا من الاعتماد على أرزاق بيت المال .. وأنه لا بديل للمساعدات التي

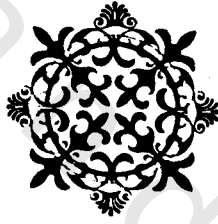
(١) الصلائق : الرقاق . والسبائك : ما سبك من الدقيق فأخذ خالصه . والصناب : الخردل بالزبيب . النهاية .

(٢) جاء في العقد الفريد ٦ : ٢٠١ قال عمر : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة .

نتلقاها سوى سواعدنا وعملنا وإنتاجنا !!

قال لرجل : مَا مَالِك ؟ قال : أَلْفَان مضمونان في بيت المال .

فقال : اتخذ مالا سوى هذا ؛ فيوشك أن يأتي من لا يُعطى إلا من يحب !



أبو العيال

قال الراوى : أهم ميزة تميز الإسلام أنه دين السماحة ، والعدالة ، والتضامن الاجتماعى ، والتكافل بين الرعية . وكان الرسول ﷺ المثل الأعلى فى سماحة الخلق ، وسماحة النفس ، وكرم الطبع ، والحدب على الرعية .

وعلى هداه سار عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فى توخى العدالة الاجتماعية فى أروع صورها ، فلم يكن يؤثر بالمال فريقا على فريق ، أو طائفة على طائفة ، إنه يقول فى إحدى خطبه :

والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد ! ، وما أنا أحق من أحد به .

والله ما من المسلمين من أحد إلا وله فى هذا المال نصيب ، إلا عبدا مملوكا ، ولكننا على منازلنا من كتاب الله ، وقسمنا من رسول الله ، والرجل وبلاده فى الإسلام ، والرجل وقومه فى الإسلام ، والرجل وعتاده فى الإسلام .
ويقول فى خطبة أخرى :

« لكم على ألا أجتبى شيئا من خراجكم ، ولا ما أفاء الله عليكم إلا من وجهه .

ولكم على إذا وقع فى يدى ألا يخرج منى إلا فى حقه . ولكم على أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله ، وأسد ثغوركهم ، وإذا غبتم فى البعث فأنا « أبو العيال » حتى ترجعوا إليهم .

إنه لا يؤثر فريقا بالمال دون فريق إلا بمقدار دوره فى خدمة الإسلام ، والعمل على دعم أركانه ، وصيانة بنيانه .

لقد كان حريصا كل الحرص على إنفاق الأموال فى وجوه الخير والبر ، والقضاء على الفوارق بين المسلمين ، وكان يحاسب ولاته حسابا عسيرا فى تطبيق ذلك ، ويسأل عن مصادر ثروتهم ، وأسباب غناهم أو رفعتهم .

كان الوفد إذا قدم على عمر - رضى الله تعالى عنه - يسأل عن أميرهم فيقولون خيرا ، فيقول :

هل يعود مرضاكم ؟

فيقولون : نعم .

فيقول : كيف صنيعه بالضعيف ؟ هل يجلس على بابه .

فإذا قالوا لخصلة منها « لا » عزله .

وروى الطبري :

« أنه كان لا يأكل نقيًّا^(١) ، ولا يلبس رقيقًا ، ولا يتخذ بابا دون حاجات

الناس » .

لقد بدأ بنفسه ، فضرب المثل لرعيته ، والناس على دين ملوكهم .

لما انتصر المسلمون على كسرى ، وتقوضت دعائم مملكته ، نقل

المسلمون نفائس قصره إلى المدينة !

وهنا وقف عبد الله بن الأرقم ، وخاطب الفاروق عمر قائلا :

اجعلها في بيت المال حتى نقسمها ، فقال عمر بن الخطاب : والله لا يُظْلَمُها

سقف بيت دون السماء ! ؛ فتركت هذه النفائس الغالية ، وهذه الدخائر الثمينة

بين صُفَّتَيْ^(٢) المسجد : صُفَّة النساء ، وصفة الرجال ، وبات القوم يحرسونها

حتى تنفس الصبح ، وانبجح النهار ، فكشف عمر عنها الغطاء فرأى الذهب

والفضة ، ففاضت عيناه بالدموع ، وانسابت على خديه ، فقال له عبد الرحمن بن

عوف :

ما يبكيك يا أمير المؤمنين !! ، فوالله إن هذا اليوم ليوم شكر ، ويوم فرح

وسرور ؟!

فقال عمر بن الخطاب : لا والله ما فتح الله على قوم هذا قط إلا جعل

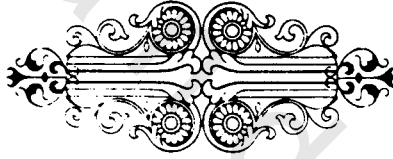
بأسهم بينهم ، وألقت بينهم العداوة والبغضاء !

(١) النقي : الدقيق الجيد الخالص .

(٢) الصُفَّة : الطَّلَّة .

ونهض عمر بن الخطاب ، وشرع يقسم الغنائم بين المسلمين ! وتمر
الأيام .. وتحقق فراسة ابن الخطاب .. وتندلع الفتنة الكبرى التي أطاحت بخلافة
عثمان ! وما نزال نكتوى بنارها !!

رضى الله عن عمر كم رفع المعاناة ، وكم وجه إلى ذلك الولاية !



من أوليات الفاروق

من النظم الطريفة التي وضعها الفاروق ، ودلت على نضاعة تفكيره ، ورجاحة عقله ! أنه فرض للمولود حين يفطم ١٠٠ درهم ، فإذا ترعرع بلغ به مائتي درهم . وكان لا يفرض لمولود شيئا حتى يفطم ، إلى أن سمع امرأة ذات ليلة ، وهي تُكْرِه وليدها على الفطام وهو يبكي ، فسألها عنه فقالت :

إن عمر لا يفرض لمولود حتى يفطم ، فأنا أكرهه على الفطام كي يفرض له ! فقال : يا ويلَ عمر !! كم احتَقَبَ من وِزر وهو لا يعلم ! ثم أمر مناديه فنَادَى : ألا تعجلوا أولادكم بالفطام ، فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام ، وكتب بذلك إلى الآفاق وكذلك كان يفرض للقيط مائة درهم ، ورزقا يأخذه وليه كل شهر ، ويزيده من سنة إلى سنة ، وكان يوصى باللقطاء خيرا ، ويجعل رضاعهم ، ونفقتهم من بيت المال .

رضى الله عنه .. وجزاه الجزاء الحسن الجميل .



عمر والمال العام

قال الراوى :

وكان عمر شديداً على نفسه كل الشدة ، وشديداً على غيره كل الشدة أيضاً فى مال المسلمين ، فكان يحاسب نفسه أشد الحاسب على ما يأخذ من مال المسلمين لنفقته ونفقة أهله ! وكان يقول : إني أنزلت نفسى من هذا المال بمنزلة مال اليتيم ، ثم يقرأ قول الله - عز وجل - من سورة النساء :

﴿ ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ﴾ [النساء : ٦]
والناس على دين ملوكهم فقد سار عماله على هذا النهج فأين أولئك الذين تمتد أيديهم إلى أموال المسلمين - مما كان عمر - رضى الله عنه - يفعله !!؟ ومن لنا بعمر لينقذ المال العام من أيدي اللثام !! لقد كان - رضى الله عنه - كما قال الرواة :

إن استغنى عَفَّ ، وإن افتقر أكل بالمعروف !

لقد كان يشبه نفسه أحيانا برجل سافر مع جماعة من أصحابه فدفَعُوا إليه أموالهم ، وكلّفوه أن يُنْفِقَ عليهم منها ، فما ينبغي له أن يُؤثّر نفسه من دونهم بقليل أو كثير من هذا المال .

ألم يستشر أصحابه فيما يحل له من هذا المال ؟!

ويقول له : بعضهم : يحل لك منه ما يصلحك ، ويصلح أهلك ، ويقول له على بن أبى طالب - رحمه الله - يحل لك منه الغداء والعشاء . فقبل رأى على ، فما كان يريد على أن يأخذ من بيت المال ، ما يمكنه من أن يأكل ويطعم أهله طعام أوساط الناس من قریش .

وكان يستحل من بيت المال كسوة نفسه : حُلّة فى الشتاء ، وأخرى فى الصيف .

لقد كان يشدد على نفسه إثارة للزهد ، ومخافة أن يحيا حياة ألين من حياة النبي ﷺ . وحياة أبى بكر .

لقد وضع أمام عينيه حياة صاحبيه فكان يقول :

إن لى صاحبين ، سلكا طريقًا ، وأخشى إن خالفْتُ سيرتهما أن يُخَالَفَ بى عن طريقهما .

فإلى الذين قصّروا عن الإحتفاظ بهذه النظم الإجتماعية ، وعن تثبيتها .. وإلى الذين أضاعوا هذه النظم ، وأهمّلوا أتباع ما هيا لهم عمر من وسائل الرقى والعزة ، فى ظل العدل والأمن والمساواة نقول لهم جميعا : اتقوا الله ، وخافوا المحن !! وإليكم نماذج عليا كانت تصنع ما يصنع عمر :



سعيد بن عامر

تقشف ! :

قال الراوى : عندما زار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حمص بالشام ، جاءه أهلها يشكون واليهم ، سعيد بن عامر ، وعابوا عليه أربع خصال :

١ - لا يخرج إليهم حتى يتعالى النهار .

٢ - ولا يجيب أحداً بليل .

٣ - ويعتزل الناس يوماً في الشهر .

٤ - ويأتيه إغماء بين حين وحين .

ويسأله عن ذلك فيعلم : أنه يعجن كل يوم خبزَه ، ويخبزه ، بنفسه ثم يخرج . وأنه جعل نهاره للناس ، وليلَه لله ، يعبد فيه ، وأنه يغسل ثيابه في الشهر مرة ، و ينتظر حتى تجف .

وأما عن الإغماء ، فقد قال سعيد :

كنت مشركاً ، وشهدت مصرع حبيب الأنصارى بمكة ، وقد بضعت (قطعت) قريش لحمه ، ثم حملوه على جذع ، وقالوا له : أتحب أن يكون محمد مكائك ، فقال :

والله ما أحب أن أكون معافى في نفسى وأهلى وولدى ، وأن محمداً شيك بشوكة ، ثم نادى : يا محمد ! فما ذكرت ذلك اليوم ، وتركت نُصرة حبيب ، وأنا مشرك ، لا أؤمن بالله العظيم إلا ظننت أن الله - عز وجل - لا يغفر لى أبداً فيصيبنى ما يصيبنى يا أمير المؤمنين !

وأمر عمر - رضى الله عنه - أهل حمص يوماً أن يسجلوا له فقراءهم ، فلما اطلع على القائمة ، قرأ فى رأسها « سعيد بن عامر » ، فقال : من سعيد بن عامر ؟ قالوا : هو أميرنا يا أمير المؤمنين .

قال عمر : وأميركم فقير ؟ وأين إذن عطاؤه ؟

قالوا : إنه لا يستبقى منه شيئا !!

فأرسل إليه عمر ألف دينار ، فلما نظر سعيد إلى تلك الدنانير جعل يقول : ﴿ إن لله وإنا إليه راجعون ﴾ .

ف قيل له : ما شأنك ؟ أصيب أمير المؤمنين !!؟

قال : أعظم .

قيل : أظهرت آية ؟

قال : أعظم من ذلك ! .. الدنيا أتنى .. الفتنة أتنى ..

ف قيل له : لا عليك .. وزع الدنانير على فقراء المسلمين .. فوزعها سعيد على

جيوش المسلمين !!

سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ ..

كان من عماله على المدائن : سلمان الفارسي ، وكان يلبس الصوف ، ويركب الحمار بغير إكاف^(١) ، ويأكل خبز الشعير ، وكان ناسكا زاهدا ، فلما احتضِرَ بالمدائن قال له سعد بن أبي وقاص :

أوصني يا أبا عبد الله ! قال :

اذكر الله عند همك إذا هممت .

وعند لسانك إذا حكمت .

وعند يدك إذا قسمت .

ثم جعل يكي ، فقال له : يا أبا عبد الله ما يكيك ؟!

قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن في الآخرة عقبة لا يقطعها إلا المخفون » . وأرى هذه الأساود^(٢) حولى !

ف نظروا فلم يجدوا في البيت إلا إداوة ، وركوة ، ومطهرة^(٣) .

(١) إكاف : البرذعة .

(٢) الأساود : العظيم من الحيات .

(٣) إداوة إناء صغير للماء وركوة للطعام ، ومطهرة يتوضأ منها ويتطهر .

أبو عبيدة :

وكان عامله على الشام أبو عبيدة بن الجراح ، وكان يظهر للناس وعليه الصوف الجاف ؛ فُعْذِلَ على ذلك^(١) ، وقيل له :

إنك بالشام ، والى أمير المؤمنين ، وحولنا الأعداء ؛ فغَيَّرَ من زِيَّتِكَ ، وأصْلَحَ من شارتِكَ فقال :

ما كنت بالذى أترك ما كنت عليه فى عصر رسول الله ﷺ .

وصاياه لعماله :

قال الراوى : وكان عمر - رضى الله عنه - إذا استعمل عاملا أوصاه بتقوى الله ، وإصلاح الرعية ، وكتب عليه كتابا ، وأشهد عليه رهطا من الأنصار :

١ - ألا يركب برذونا !

٢ - ولا يأكل نقيا !

٣ - ولا يلبس رقيقا !

٤ - ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين !

ثم يقول : اللهم اشهد .

وكتب إلى عماله : أما بعد فإياكم والهدايا فإنها من الرشا .

لقد اهتدى إلى ضرر الهدايا مما بدر من رجل^(٢) كان أهدى إليه فخذ جزور فخاصم إليه رجلا فقال : يا أمير المؤمنين ، اقض بيننا قضاء فصلا ، كما تفصل الرجل من سائر الجزور ، فقضى عليه عمر !

ثم كتب إلى عماله : إن الهدايا هى الرشا .

وكان عمر - رضى الله عنه - إذا قدم العمال يأمرهم أن يدخلوا نهارا ، ولا يدخلوا ليلا لكيلا يحتجوا^(٣) شيئا من الأموال .

(١) العذل : اللوم .

(٢) الأشراف لابن أبى الدنيا . وقد سبق ذكر هذه الحكاية من قبل .

(٣) يخفوا ، أو يأخذوا لأنفسهم شيئا .

وكان يعسّ^(١) بنفسه ، ويرتاد منازل المسلمين ، ويتفقد أحوالهم ، ويتعهد أهل البؤس والفاقة بنفسه .

لقد كان يسهر على أمور الرعية ، وتتبع أخبارها في آناء الليل وأطراف النهار ، وفرض مالا لكل مولود في الإسلام ، ورفع الجزية عن الشيوخ الفقراء المسنين الذين لا يستطيعون أداءها .

رحم الله عمر ، ورضى عنه ، وهدانا إلى الاقتداء به ، والانتفاع بسيرته !

بيت المال بين الدين والأمانة ، والتفريط والتضييع :

وكان عمر - رضى الله عنه - حريصا على مال المسلمين أن تمتد إليه يد بالتفريط والتضييع ، ولكنه كان على صيانة دين المسلم وأمانته أحرص !

افتقد من بيت المال أيام عمر أربعة آلاف درهم ، وكان بيت المال في يد وهب ابن منبه^(٢) فكتب إليه عمر :

أما بعد ؛ فإننا لا نتهم دينك وأمانتك ، ولكن نخاف تفريطك وتضييعك ، وهذا المال للمسلمين ، وليس لأشجعهم عليك إلا يمينك ، فإذا صليت العصر من يوم الجمعة ، فاستقبل القبلة ، واحلف بالله أنك ما أخذتها ، ولا علمت لها آخذا^(٣) السلام .

من أين لك هذا ؟ ! :

وكان عمر - رضى الله عنه - يفتح عينيه لكل ما يظهر على عماله وولاته من ثراء فيحاسبهم ويقاسمهم ويرد ذلك إلى بيت مال المسلمين ..

مرّ برجل من عماله^(٤) وهو يئس بالآجر والحصى ، فقال : « تأبى الدراهم إلا أن تُخرج أعناقها . وشاطرّه ماله » !

(١) يطوف بالليل .

(٢) وهب بن منبه : تابعى من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن مات سنة ١١٠ هـ . وقيل ١١٤ ، وقيل ١٢٤ .

(٣) قيل إن هذه الحادثة لوهب حدثت في أيام عمر بن عبد العزيز الذى عاش إلى عهده على أرجح الأقوال .

(٤) في عيون الأخبار ١ - ٣ أنه عامله على البحرين .

عمر القدوة يبدأ بنفسه :

قال الراوى : وكان إذا أراد^(١) أن يأمر المسلمين بشيء أو ينهاهم عن شيء مما فيه صلاحهم بدأ بأهله ، وتقدم إليهم بالوعظ لهم ، والوعيد على خلافهم أمره ، وما كان يميز أحداً من آل بيته فى شيء ، وربما هضم بعض حقهم ، وأعطاه من هو أجدر منهم .

« قسم^(٢) عمر مروطاً بين نساء المدينة فبقى فيها مرطاً^(٣) جيد ، فقال له بعض

من عنده :

يا أمير المؤمنين أعطِ هذا ابنة رسول الله التى عندك^(٤)، فقال : أم سُلَيْطٍ أحق به ؛ فإنها مِمَّنْ بايع رسول الله ، وكانت تزفر^(٥) لنا القرب يوم أحد » .
وقال أحدهم لعمر : اتق الله يا أمير المؤمنين ، فقال : « لا خير فيكم إن لم تقولوها لنا ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم » .

وردت عليه امرأة ، فرجع إليها وقال : رجل أخطأ ، وامرأة أصابت !
رضى الله عنه كم كان شديد الحرص على أموال المسلمين ، وكم حاسب نفسه وغيره !



(١) تاريخ الطبرى .

(٢) تيسير الوصول لابن الديع .

(٣) المرط : كساء من خز أو صوف يؤثر ربه .

(٤) يريد أم كلثوم بنت على .

(٥) تزفر القرب : تحيطها .